الرَّسُولُ ﷺ فِي المَدِينَةِ

الأستاذ الدكتور
أحمد عمر هاشم

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

٢٠٠٥ / ٩١٤٢

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٩٥-٧

الطبعة الثانية

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : سيرة الرسول ﷺ لكل الأعمار

المؤلف : أ.د. أحمد عمر هاشم

الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

تطلب جميع مطبوعاتنا من

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص . ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٢٢ - هاتف ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦

فاكس : ٤٢٥٥٩٤٥ جدة - تليفون وفاكس : ٦٢٩٤٣١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحشر: ٩ - ١٠].

المسجد .. المؤاخاة .. الدستور

وصلَ الموكبُ النبويُّ إلى المدينة المنورة ، وخرجَ أهلُها في استقباله بالأناشيد والترحاب، وكلُّ واحد منهُم يتمنَّى أن ينزلَ النبيُّ ﷺ عندَه في بيته، ولكنهُ تركَ ناقتَه تنطلقُ به؛ فهيَ مأمورةٌ. وقدْ بركَت الناقةُ في الموقع المختار ليكونَ مركزَ الدولةِ الإسلاميةِ الأولى، موضع المسجد النبويِّ الشريفِ.

ومنْ هذَا المسجد أرسَى رسولُ الله ﷺ دعائمَ دولته وأركانَها. فبعدَ أن استقرَّ بالمدينة اتَّجَهَ إلى عمل ثلاثة أسس لبناء المجتمع الإسلاميِّ الجديد، وهيَ : (المسجدُ) منطلقُ هذَا المجتمع ومركزُ توجيهه، و(المؤاخاةُ) بينَ أفراد هذَا

المجتمع، ثمَّ (الدستورُ) الذي يوضحُ أسسَ هذَا المجتمع وقواعدَه ويحفظُ لكلِّ ذِي حقٍّ حقَّه.

وتعالَوا بِنَا نتابعُ هذِهِ الأحداثَ بشيءٍ منَ التفصيلِ.

فِي بيتِ أبِي أيُّوب

هاجرَ النبيُّ وصاحبُه أبو بكرٍ إلى المدينة المنورة، وخرجَ أهلُ المدينة يستقبلونَ النبيَّ المهاجرَ وصاحبه، يستقبلونَ ذلكَ الموكب المباركَ، ودخلَ النبيُّ ﷺ المدينة المنورةَ، وكلَّما مرَّ على دارٍ من دُور الأنصار دعَوْهُ للنزولِ عندَهم، وأخذُوا بزمام ناقتِهِ، فيقولُ لهمُ الرسولُ ﷺ: دعُوها؛ فإنَّها مأمورةٌ.

وظلَّتِ الناقةُ سائرةً حتَّى بركَتْ أمامَ دار أبي أيُّوب الأنصاريِّ، وفي محلات أخواله بني النجار. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

- هاهُنا المنزلُ إن شاءَ اللهُ.

ثمَّ تَلاَ قولَ الله تعالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا

مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩] .

فسارعَ أبو أيُّوب - واسمُه خالدُ بنُ زيدٍ - إلى رَحْلِ النبيِّ ﷺ فأدخلَهُ بيته، فجعلَ الرسولُ ﷺ يقولُ :

- المرءُ معَ رحلِهِ .

وأرادَ النبيُّ ﷺ أن ينزلَ في الطابق الأول من بيت أبي أيُّوب؛ نظرًا لكثرةِ من يزورُه منَ الناس. وباتَ الليلةَ الأولَى في هذَا الطابق منَ البيت، ولكنَّ أبا أيوبَ وزوجتَه لم ينامَا في تلكَ الليلة؛ فلقدْ راجعَ أبو أيوبَ نفسَه وفكَّر كيفَ يطأ الأرضَ بقدمه وهوَ يعلَمُ أنَّ الرسولَ يقيمُ أسفلَ منهُ؟ فكلمَا أرادَ أن يمشيَ تجنَّبَ أن يمشيَ في وسط الحجرة خشيَةَ أن يؤذيَ رسولَ الله ﷺ، وظلَّتْ زوجتُه تُؤنبُه طوالَ الليل؛ لأنهُ تركَ رسولَ الله ﷺ يقيمُ في حجرة أسفلَ منْ حجرتهما.

ومَا إنْ أصبحَ أبو أيوبَ حتَّى سارعَ إلى النبيِّ ﷺ ، وألحَّ عليه أن يصعدَ إلى الطابقِ الثانِي من

البيتِ فقَبِلَ رسولُ اللهِ ﷺ ذلكَ .

قالت السيدُة عائشة - رضيَ اللهُ عنهَا - لمَّا قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وُعِكَ[1] أبو بكر وبلالٌ، فدخلتُ عليهمَا فقلتُ :

- يا أبَهْ كيفَ تجدُك؟ ويا بلال كيفَ تجدُك ؟

فكانَ أبو بكر إذا أخذتْه الحمَّى يقولُ :

كـلُّ امـرئ مـصَـبَّـحٌ فـي أهـلِـه

والـموتُ أدنَـى مِـن شِـراك نـعـلِـه

وكان بلال يقول :

ألا لـيـت شِـعـري هـلْ أبـيـتَـنَّ لـيـلـةً

بـوادٍ وحـولـي إذخـرٌ وجـلـيـلُ

وهـلْ أردَنْ يـومًـا مـيـاه مـجـنّـةٍ

وهـل يـبـدُوَنْ لـي شـامـةٌ وطَـفـيـلُ

---

(١) أي مَرِضَا .

فذهبت السيدةُ عائشةُ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرتْه بما سمعتْ منْ أبيهَا ومنْ بلال - رضيَ اللهُ عنهُما - فأحس النبيُّ ﷺ بشوقِ صحابته المهاجرينَ إلى بلدهم الحبيب مكةَ، فقالَ يدعُو:

- اللهُمَّ حبّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ حبًّا، وصحِّحها وبارِكْ في صاعِها ومُدِّها، وانقلْ حمَّاها فاجعلْها بالجُحْفَة[1].

(١) صحيح البخاري ١ / ٥٨٨ . والجحفة موضع بين مكة والمدينة .

الرسولُ يبنِي مسجده

منذُ وصلَ الرسولُ ﷺ إلى المدينة ابتاعَ المكانَ الذي بركتْ فيه ناقتُه، وكانَ مربدًا للتمرِ يملكُهُ الغلامانِ (سهلٌ وسهيلٌ) فاشتراهُ وأبَى أَن يقبلَه هبةً.

وأمرَ رسولُ الله أن تُسَوَّى ما فيه من حفر، ويقطعُ ما به منْ نخيل وأصلحَتْ أرْضهُ وبدأ في بناء المسجد من اللَّبن وجانبَيْ الباب منَ الحجارة، وسقفه من الجَريد، وأعمدَته من جذوعُ النخل، وكانَ ارتفاعُه لا يزيدُ على قامة الإنسانِ إلا بشيءٍ يسيرٍ.

واشتركَ معهُم الرسولُ ﷺ في البناء تقويةً للروح المعنوية، وبيانًا لمنزلة المسجد وقيمة

العمل وشرفه. وكانَ بعضُ الصحابة يرتجزونَ الشعرَ في حماسة حينَ يرونَ الرسولَ يأبَى أن يتميَّزَ علَى واحد منهُم، فيقومُ بالعمل كواحد منهُم، ويقولُ بعضُهم:

لـئِـنْ قَـعـدنـا والـنـبـيُّ يـعـمـلُ

لَـذاك مِـنـا الـعـمـل الـمـضـلَّـلُ

وكانُوا يروِّحون عنْ أنفسِهم عناءَ العملِ بترديدِ بعضِ الشعرِ قائلينِ:

الـلـهـمَّ لا عـيـشَ إلا عـيـشُ الآخِـرَة

فـارحـمِ الأنـصـارَ والـمـهـاجِـرَة

وكانَ المسجدُ آنئذ مرتكزَ الصلة الكبرَى بينَ الخلق وخالقهم، ففيه تؤدَّى الصلاةُ، ومنهُ يرتفع نداءُ التوحيدِ، وفيه تكونُ الصلةُ بينَ الأفراد والجماعات، ومنهُ تنبثقُ مبادئُ الصَّبر والرَّحْمة، والأخلاق الرشيدة. وكانَ المسجدُ بجانب ذلكَ

ملتقًى لجميع المسلمينَ، تتمُّ فيه مجالسُ الشورَى، والفصلُ في القضايَا وشؤون التجارة، ومَا إلَى ذلكَ.

وقدْ جاءَ في فضل المسجد النبويِّ أحاديثُ منهَا:

عنْ أبي هُرَيْرة - رضيَ اللهُ عنهُ - أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلَى ثلاثة مساجدَ: مسجدِي هذَا، والمسجدِ الحرامِ، ومسجد بيت المَقْدِسِ».

«صلاةٌ في مسجدِي هذَا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيمَا سواهُ إلا المسجدَ الحرامَ».

«ما بينَ بيتِي ومنبرِي روضةٌ من رياضِ الجنةِ، ومنبرِي علَى حوضي»[1].

(١) الأحاديث مروية في الصحيحين، وهنا رواية مسلم.

المؤاخاة

بنَى الرسولُ ﷺ مسجدَه ليصبحَ مركزَ القيادة والتخطيط في الدولة الجديدة، وكانت الخطوةُ الثانيةُ في بناء مجتمع المسلمينَ في المدينة المنورة، وهيَ من أعظم مَا رواهُ تاريخُ الإنسانية، إنها المؤاخاةُ بينَ المهاجرينَ بعضهمْ معَ بعض، وبينَهم وبينَ الأنصار، فالمهاجرونَ تركُوا أوطانَهم وديارَهم وأموالَهم مُقبلين علَى عقيدتهم، مهاجرينَ في سبيل الله ورسوله، والأنصارُ تبوَّأوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبونَ مَن هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مِمَّا أوتُوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خَصاصةٌ.

ولقدْ أحسَّ الأنصارُ بحاجة إخوانهم المهاجرينَ

فآثرُوهم وآوَوْهُم وفضَّلُوهم على أنفسهم مهمَا كانتْ حاجتُهم، ووصلتْ هذه المؤاخاةُ إلى درجة أن أصبحُوا يتوارثونَ بعدَ الممات، إلَى أنْ قالَ اللهُ تعالَى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

فرجعَ كلُّ إنسان إلى نسبه، ووَرِثَهُ ذَوُو رَحمه، وقد أظهرَ الأنصارُ من ضروب السماحة والإخاء مع إخوانهم ما جعلَهم أهلاً لوصف القرآن لهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ويروَى في ذلك أنَّ سعدَ بنَ الربيع وهوَ مِنَ الأنصار، وقدْ آخى الرسولُ ﷺ بينَه وبينَ عبد الرحمن بن عوف - وقد عرضَ علَى عبد الرحمن ابن عوف أنْ يشاطرَه في مال وداره ويزوِّجه إحدَى نسائه، فأبَى عبدُ الرحمن، وسألَ

عن السوق، وراحَ يشتغلُ بالتجارة في سوق المدينة حتَّى نَمَا مالُه وزادَ.

وهكذَا رفضَ عبدُ الرحمن أنْ يعيشَ عالةً علَى غيره، وأبَى إلا أنْ يأكُلَ منْ عمل يده؛ تمجيدًا لشرف العمل، وتقديرًا لكرامة المسلم، وهكذَا ربطَ الرسولُ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصار حتَّى أصبحتْ كلُّ أسرة مرتبطةً بأُسر كثيرة بسبب هذه المؤاخاة، ونسِيَ الجميعُ كلَّ الصِّلات الأخرَى إلا هذه الصلةَ الجديدةَ، حيثُ أصبحُوا بنعمة الله إخوانًا، واستعلت أخوَّةُ الدين علَى ما عداها من صِلاتٍ. وقد أثمرتْ المؤاخاةُ التي أبرمَها الرسولُ ﷺ، فكوَّنتْ أساسًا لأعظم مجتمع مثاليٍّ تألَّقتْ فيه معانِي الحُبِّ والإخاءِ، وأشرقَتْ بينَ جنباته شمسُ العقيدة التي حقَّقَت النصرَ في الغزواتِ، وتحققَ عَلَى يديْها الفتحُ المبينُ.

وهكذَا تآلفَ المسلمونَ في المجتمع الجديد،

ولمْ يبقَ غيرُ تنظيم العلاقة بينَ المسلمينَ وغيرهم في دولة الإسلام، فكانَ الميثاقُ أو المعاهدةُ أو الدستورُ الذي وضعَه ﷺ للمجتمع المدني؛ ليصبحَ المجتمعُ وحدةً واحدةً متماسكةً.

إنَّها المؤاخاةُ التي لمْ يَشْهدِ التاريخُ البشريُّ لهَا مثيلاً.

بعضُ مَنْ تَمَّتْ بينَهم المؤاخاةُ

آخَى رسولُ الله ﷺ بينَ أصحابه من المهاجرينَ والأنصار، فقالَ ﷺ: «تآخَوْا في الله أخَوَيْن أخَوَيْن» على النحو التالي:

* الرسولُ ﷺ وعليُّ بنُ أبي طالب رضيَ اللهُ عنهُ.

* حمزةُ بنُ عبدالمطلب عمّ النبيِّ ﷺ وزيدُ بنُ حارثَةَ رضيَ اللهُ عنهما.

* جعفرُ بنُ أبي طالب ومعاذُ بنُ جبل رضيَ اللهُ عنهما.

* أبو بكرٍ الصدِّيقُ وخارجةُ بنُ زهيرٍ رضيَ اللهُ عنهما.

* عمرُ بنُ الخَطَّاب وعِتبانُ بنُ زهيرٍ رضيَ اللهُ

عنهمَا .

* الزُّبَيْرُ بنُ العوَّام وسَلَمَةُ بنُ سلامةَ بن وقش رضيَ اللهُ عنهما .

* عثمانُ بنُ عفانَ وأوسُ بنُ ثابت بن المنذر رضي الله عنهما .

* طلحةُ بنُ عُبَيْد اللهِ وكعبُ بنُ مالك رضيَ اللهُ عنهما .

* سعيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نُفَيْل وأَبيُّ بنُ كعب رضيَ اللهُ عنهما .

* مصعَبُ بنُ عميرٍ وأبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

* أبو حُذَيْفَةَ بنُ عتبةَ وعبادُ بنُ بشرٍ رضيَ اللهُ عنهمَا .

* عمارُ بنُ ياسر وحذيْفةُ بنُ اليمَان رضيَ اللهُ عنهما .

* أبو ذَرٍّ الغِفَاريُّ والمنذِرُ بنُ عمرٍو رضيَ اللهُ

عنهُمَا .

* حاطبُ بنُ أبِي بَلْتَعَةَ وعُوَيْمُ بنُ ساعدةَ رضيَ اللهُ عنهما .

* سلمانُ الفارسيُّ وأبو الدَّرْدَاء رضيَ اللهُ عنهما .

* بلالُ بنُ رباح وأبو رُوَيْحَة رضيَ اللهُ عنهما .

وهؤلاء مَنْ سُمِّي لنَا مِمَّن كانَ رسولُ اللهِ ﷺ آخَى بينهُم مَنْ أصحابِهِ[1] .

(١) عن سيرة ابن هشام ٢ / ١١٥ بتصرف .

أولُ خُطبة للرسول بالمدينة

بعدَ أنْ بَنَى الرسولُ ﷺ مسجدَه، واتسعَ نطاقُ الإسلام في المدينة المنورة، خطبَ الرسولُ في أهل المدينة خُطبتين قبلَ أنْ يضعَ العهدَ أو الدستورَ بينهُم، وهُمَا خُطبتان توجيهيّتان بليغتان ننقلهُما بنصِّهما كمَا رواهمَا ابنُ هشام[1] عن ابن إسحاقَ عنْ أبي سلمةَ بن عبد الرحمن.

وكانتْ أولُ خطبة للنبيِّ ﷺ أن قامَ في أهل المدينة فحمدَ اللهَ وأثنَى عليه بما هوَ أهلُه، ثمَّ قالَ:

«أمَّا بعدُ.. أيُّها الناسُ، فقدِّمُوا لأنفسكُم.

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٥٠٠، ٥٠١.

تعلَّمُنَّ والله لَيُصْعَقنَّ أحدُكم، ثم ليدَعَنَّ غنَمَه ليسَ لها راع، ثمَّ ليقولَنَّ له ربُّه، وليسَ لهُ تُرجمانٌ ولا حاجبٌ يحجبُه دونه: ألمْ يأتكَ رسُولي فبلَّغكَ، وآتيتُكَ مالاً وأفضلتُ عليكَ؟ فمَا قدَّمتَ لنفسكَ؟ فلينظرَنَّ يمينًا وشمالاً فلا يرَى شيئًا، ثمَّ لينظرَنَّ قُدَّامَه فلا يرَى غيرَ جهنَّمَ، فمَنْ استطاعَ أنْ يقيَ وجهَه من النار ولو بشقِّ من تمرة فليفعلْ، ومَن لمْ يجِدْ فبكلمةٍ طيّبةٍ؛ فإن بها تُجزَى الحسنةُ عَشْرَ أمثالِها، إلى سَبعِمائة ضعفٍ.

والسلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ».

خُطبتُه الثانيةُ ﷺ

ثم خطبَ رسولُ الله ﷺ في الناس مرَّةً أخرَى فقالَ :

«إنَّ الحمدَ لله، أحمَدُه وأستعينُه، نعوذُ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يَهْده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إن أحسنَ الحديث كتابُ الله تباركَ وتعالَى، قد أفلحَ من زيَّنَه اللهُ في قلبه، وأدخلَه في الإسلام بعدَ الكفر، واختارَه على ما سواهُ منْ أحاديث الناس، إنه أحسنُ الحديث وأبلغُه. أحبُّوا ما أحَبَّ اللهُ، أحبُّوا اللهَ من كلِّ قلوبكم، ولا تَملّوا كلامَ الله وذكرَه، ولا تَقْسُ عنهُ قلوبُكم، فإنه من كلِّ ما

يخلقُ اللهُ يختارُ ويصطفِي، قد سمَّاه اللهُ خيرَتَه من الأعمال، ومُصطفاه من العبادِ، والصالحَ من الحديثِ؛ ومن كل ما أوتيَ الناسُ الحلال والحرام، فاعبدُوا اللهَ ولا تُشركُوا به شيئًا واتقُوه حقَّ تقاته، واصدقُوا اللهَ صالحَ مَا تقولونَ بأفواهِكم، وتحابُّوا برُوحِ اللهِ بينَكم، إنَّ الله يغضبُ أن يُنْكَثَ عهدُه.

والسلامُ عليكُم».

الدُّستُور

أصبَحَ سكانُ المدينةِ بعدَ الهجرةِ والمؤاخاةِ يمثلونَ ثلاثةَ أنواعٍ، هُمْ:

١ - المسلمونَ.

٢ - اليهودُ من بني النضير وبني قريظةَ وبني قَيْنُقَاع.

٣ - العربُ الذينَ لم يعتنقُوا الإسلامَ.

فأرادَ النبيُّ ﷺ أن يوحِّد بينَهُم جميعًا ويربُطُ بينَ القلوب حتَّى تسودَ روحُ الإسلام وسماحتُه، فعقدَ هذه المعاهدةَ التي أصبحتْ دستورًا لأسمَى مبادئ الإنسانية التي تكفلُ حقوقَ الناس جميعًا، منْ حرية العقيدة وحرية الرأي، وحُرمة المدينة ومُحاربة الظلم والعدوانِ.

ومما عالجتْهُ هذه المعاهدةُ من مبادئ أنَّ من حقِّ الجماعة معاقبةَ المفسدِ، وأن يتعاونَ سكانُ المدينة، ويردُّوا أيَّ عدوانٍ يوجَّه إليهِم، وأنَّ الرئاسةَ العامةَ تكونُ للرسول ﷺ، كمَا نصَّت على جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي تقومُ علَى أساسها دعائمُ المجتمعِ الجديدِ، مجتمعٌ تقومُ السياسةُ فيه على الشورَى كمَا قالَ تعالَى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

ودعائمُ اقتصاديةٌ تقضي بالتعاون الاقتصاديِّ التامِّ كمَا جاءَ في الحديث: «ما آمنَ بي مَنْ باتَ شبعانَ وجارُهُ جائعٌ إلى جنبه وهوَ يعلمُ بِهِ»[1].

ودعائمُ اجتماعيةٌ تسودُ فيهَا المساواةُ بينَ

(١) رواه البزار والطبراني.

الناسِ، فلا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ إلا بالتقوَى والعملِ الصالحِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

[الحجرات: ١٣].

فكانَ ذلكَ نواةً للدولةِ الإسلاميةِ الكبرَى التِي ستكونُ خيرَ أمةٍ أخرِجَتْ للناسِ.

ولنطالعْ بنودَ هذهِ المعاهدةِ كمَا وردتْ في كتب السنة والسيرةِ.

بنود المعاهدة[1]:

هذَا كتابٌ منْ محمد النبيِّ ﷺ بينَ المؤمنينَ والمسلمينَ منْ قريشٍ ويثربَ ومَن تَبِعَهَم فلحِقَ بهمْ وجاهدَ معهُم:

١ - أنهمْ أمَّةٌ واحدةٌ مِنْ دون الناس.

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٥٠٢ وما بعدها، والرحيق المختوم ص ٢٠٨.

٢ - المهاجرونَ من قريشٍ عَلَى رَبْعَتِهم يتعاقلونَ بينهُم، وهمُ يَفْدُونَ عانيهم بالمعروف والقسط بينَ المؤمنينَ، وكلُّ قبيلة من الأنصار علَى رَبْعَتِهم يتعاقلونَ معاقِلَهم الأولَى، وكلُّ طائفةٍ منهُم تفدِي عانيَها بالمعروف والقسطَ بينَ المؤمنينَ.

٣ - وأنَّ المؤمنينَ لا يتركُونَ مُفْرَحًا[١] بينهُم أن يعطُوه بالمعروف في فداءٍ أو عقلٍ.

٤ - وأنَّ المؤمنينَ المتقينَ عَلَى من بغَى عليهم، أو ابتغَى دسيعةَ[٢] ظلمٍ أو إثمٍ أو عدوانٍ أو فسادٍ بينَ المؤمنينَ.

٥ - وأن أيديَهم عليه جميعًا ولو كانَ ولدَ أحدِهم.

٦ - ولا يَقْتُل مؤمنٌ مؤمنًا في كافرٍ.

٧ - ولا ينصرُ كافرًا على مؤمن.

---

(١) مُفْرحًا: من أثقله الدين.

(٢) الدسع: الدفع، والمعنى طلب دفع الظلم - لسان العرب بتصرف.

٨ وأنَّ ذمةَ المسلمينَ واحدةٌ يجيرُ عاليهم أدناهُم .

٩ - وأنَّ مَن تبعَنَا من يهودَ فإنَّ له النصرَ والأسوةَ غيرَ مظلومينَ ولا متناصرينَ عليهم .

١٠ - وأن سِلْمَ المؤمنينَ واحدةٌ - لا يسالمُ مؤمنٌ دونَ مؤمن في قتال في سبيل الله إلا عَلَى سواء وعدل بينهُم .

١١ - وأنَّ المؤمنينَ يُبِيءُ[١] بعضُهم علَى بعض بما نالَ دماءَهُم في سبيل الله .

١٢ - وأنهُ لا يجيرُ مشركٌ مالاً لقريشٍ ولا نفسًا ، ولا يحولُ دونَهُ علَى مؤمن .

١٣ - وأنهُ من اعتبطَ مؤمنًا[٢] قتلاً عن بينةٍ فإنَّه قَوَدٌ بِهِ ، إلا أنْ يُرضَى وليُّ المقتول .

١٤ - وأنَّ المؤمنينَ عليه كافةً ولا يحلُّ لهُم إلا

---

(١) يُبيء : أي يكافئ بعضهم بعضًا في دمائهم ، بَاء الرجلُ بصاحبه إذا قُتل به .

(٢) أي قتله بلا جناية .

قيامٌ عليهِ.

١٥ - وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر مُحْدِثًا ولا يؤويه، وأنه من نصرَه أو آواه فإنَّ عليه لعنةَ اللهِ وغضبَه يومَ القيامةِ، ولا يؤخذُ منهُ صرفٌ ولا عدلٌ.

١٦ - وأنَّكُم مهمَا اختلفتُم فيهِ من شيءٍ فإنَّ مردّه إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وإلَى محمدٍ ﷺ.

بنودُ المعاهدة معَ اليهود :

برغم أنَّ اليهودَ يشكِّلونَ الصِّنفَ الثالث منْ مجتمع المدينة إلا أنهُم يتميَّزونَ بطبيعة خاصة بهم، فهمْ يُبطنونَ العداءَ للمسلمينَ ولا يظهرونَهُ، ويميلونَ دائمًا إلى التحالف معَ الأقوياءِ، وكانتْ لهُم حصونٌ يتحصنونَ فيهَا لما يتميزونَ به من جبن وخوفٍ وغشٍّ وخداع.. ولقد فهمَ النبيُّ ﷺ ذلكَ فعقدَ لهُم معاهدةً خاصةً بهم ضمنَ المعاهدة الأساسية التي أشرْنَا إليهَا. وأهمُّ بنود هذه المعاهدة :

١ - أنَّ يهودَ بني عوف أمةٌ معَ المؤمنينَ، لليهود دينُهم وللمسلمينَ دينُهم، مواليهُم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف منَ اليهودِ.

٢ - وأنَّ عَلَى اليهود نفقتَهم وعلَى المسلمينَ نفقتهُم.

٣ - وأن بينَهم النصرَ عَلَى من حارَب أهلَ هذه الصحيفة.

٤ - وأنَّ بينهُم النصحَ والنصيحةَ، والبرَّ دونَ الإثم.

٥ - وأنَّه لمْ يأثَم امرُؤٌ بحليفِهِ.

٦ - وأنَّ النصرَ للمظلوم.

٧ - وأنَّ اليهودَ ينفقونَ معَ المؤمنينَ ما دامُوا محاربِينَ.

٨ - وأنَّ يثربَ حرامٌ جوفُها لأجلِ هذهِ الصحيفةِ.

٩ - وأنَّه ما كانَ بينَ أهل هذه الصحيفة منْ

حدث أو اشتجارٍ يخافُ فسادُه فإنَّ مردَّهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وإلَى محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ .

١٠ - وأنه لا تُجارُ قريشٌ ولا منْ نَصَرَها .

١١ - وأنَّ بينهُم النصرَ عَلَى من دَهَم يثربَ، على كلِّ أناس حصَّتُهم من جانبِهِم الذي قبلهمْ .

١٢ - وأنَّه لا يحولُ هذَا الكتابُ دونَ ظالمٍ أو آثمٍ[1] .

وبهذه المعاهدة تمَّتْ أركانُ الدولةِ الإسلاميةِ في ظلِّ قيادةِ النبيِّ ﷺ وتحتَ سيطرةِ المسلمينَ علَى منْ سِواهُم في المدينةِ المنورة .

وبدأ المسلمونَ مرحلةً جديدةً منْ مراحل الدعوة لدينهم ونشر نور الله في الأرض، وهيَ مرحلةُ الجهادِ المسلحِ ضدَّ كفارِ قريشٍ الذينَ زادُوا في إيذاءِ المسلمينَ والكيدِ لهُم .

(١) انظر : سيرة ابن هشام ١ / ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، والرحيق المختوم ص ٢٢٩ .

إسلامُ عبد الله بن سلام

لمَّا ظهرتْ دعوةُ النبيِّ ﷺ في المدينة المنورة وأسَّس قواعدَ الدولة الإسلامية الجديدة اغتاظَ اليهودُ منْ ذلكَ، وبدأوا يعادونَ نبيَّ الإسلام وما جاءَ بِهِ. في البداية كانُوا يُبْطِنُونَ هذه العداوةَ ولا يظهرونَها، وبخاصة أحبارُ اليهود. وقدْ أسلمَ بعضُهم نفاقًا، ما عدَا عبد الله بنَ سلامٍ ومُخيريقًا، فقد أسلما وحسن إسلامهما.

يقولُ عبدُ الله بنُ سلام : لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفتُ صفتَه واسمَه وزمانَه الذي كنَّا نتوكَّفَ (نترقبُ) لهُ، فكنتُ مسرًّا لذلكَ صامتًا عليه، حتَّى قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فلمَّا نزلَ بِقُبَاء، وفي بني عمرو بن عوف، أقبلَ رجلٌ حتَّى

أخبَرَ بِقُدومِهِ، وأنا في رأس نخلةٍ لي أعملُ فيها، وعمَّتي خالدةُ بنتُ الحارث تحتِي جالسةٌ، فلمَّا سمعتُ الخبرَ بقدوم رسول الله ﷺ كَبَّرتُ، فقالتْ لِي عمَّتي حين سمعتْ تكبيري:

- خيَّبكَ اللهُ ، واللهِ لوْ كنتَ سمعتَ بموسَى ابن عِمرانَ قادمًا ما زدتَ.

فقلتُ لها :

- أيْ عمَّةُ ، هوَ واللهِ أخُو موسَى بنِ عِمرانَ، وعلَى دينِهِ، بُعِثَ بما بُعِثَ به.

فقالت :

- أي ابنَ أخي ، أهوَ النبيُّ الذي كنَّا نُخْبَرُ أنَّه يُبْعَثُ مع نَفَسِ الساعةِ؟!

فقلتُ لها :

- نعمْ .

قالتْ :

- فذاك إذًا .

ثمَّ خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، ثمَّ رجعتْ إلى أهل بيتي فأمرتُهم فأسلمُوا.

ويواصِلُ عبدُ الله بنُ سلام قصَّة إسلامِهِ، فيقولُ: وكتمتُ إسلامي من يهودَ، ثمَّ جئتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ لَهُ:

- يا رسولَ الله، إنَّ يهودَ قومٌ بُهْتٌ[1]، وإنِّي أحبُّ أن تُدْخلني في بعض بُيوتك، وتغيِّبَني عنهُم، ثمَّ تسألَهم عنِّي، حتى يخبروكَ كيفَ أنا فيهِم، قبلَ أن يعلمُوا بإسلامِي، فإنَّهم إنْ علمُوا بِهِ بهتُونِي وعيَّبونِي.

فأدخَلنِي رسولُ الله ﷺ في بعضِ بيوتِهِ، ودخلُوا عليهِ، فكلمُوه وسألُوه، ثمَّ قالَ لَهمُ:

- أيُّ رجلٍ عبد الله بنُ سلام فيكم؟

فقالوا:

(١) البهت: الباطل، أي ينكرون الحقَّ وإن كان ظاهرًا.

- سيدُنا وابنُ سيدنا ، وحَبْرُنَا وعالمُنا .

فلمَّا فرغُوا من قولِهم خرجتُ عليهم ، فقلتُ لهمُ :

- يا معشرَ يهودَ، اتقُوا اللهَ واقبلُوا ما جاءَكمُ بِهِ، فواللهِ إنَّكُم لتعلمونَ أنَّه لرسولُ الله، تجدونَه مكتوبًا عندَكم في التوراةِ باسمِهِ وصفته، فإنِّي أشهدُ أنهُ لرسولُ اللهِ ﷺ، وأومنُ بهِ وأصدِّقُه وأعرفُه.

فقالوا : كذبتَ . ثم وقعُوا بي وعيَّبوني.

فقلتُ لرسول الله ﷺ :

- ألمْ أخبرْكَ يا رسولَ الله أنهُم قومٌ بُهْتٌ ، أهلُ غدرٍ وكذبٍ وفجورٍ.

وبعدَ ذلكَ أظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بيتِي، وأسلمتْ عمتي خالدةُ بنتُ الحارثِ وحَسُنَ إسلامُها.

مشروعيّةُ الجهادِ فِي سبيلِ اللهِ

ظلَّ الرسولُ ﷺ والمسلمون في العهدِ المكِّيِّ ثلاثةَ عشرَ عامًا صابرينَ لا يعتدُونَ ولا يقابلونَ حربَ المشركينَ لهُم بحرب، بلْ كانوا يستجيبونَ لأمر الله تعالَى ولرسوله عليه الصلاةُ والسلامُ في قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

ولطالمَا شكَا المسلمونَ للرسولِ ﷺ ما يلاقونَه من أعدائِهم، فيُجيبُهم قائلاً:

- «اصبروا؛ فإنِّي لم أومَرْ بقتال».

وظلَّ الحالُ عَلَى ذلكَ حتَّى تمَّت الهجرةُ من مكةَ إلى المدينةِ، وأصبحَ المسلمونَ في مَنَعةٍ وقوة

فأذنَ اللهُ تعالَى لهُم بالجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة، ولم يُشرعْ في السنة الأولَى للهجرة؛ لأن المسلمينَ كانُوا يقومونَ بتكوين دولتهم الجديدة، وتنظيم أحوالهم، وبناء المسجد النبويِّ، والمؤاخاة، وما كانَ في السنة الأولَى إلا بعضُ سرايَا كانَ الهدفُ منها إرغامَ المشركينَ على التفكير في تغيير سياستهم ونظرتهم تجاهَ المسلمينَ؛ حيثُ كانُوا يستضعفونَ المسلمينَ، فكانتْ هذه السرايَا وما فيهَا من دلالة القوة تدعُو بلسان الحال إلَى إفساح الطريق أمامَ الدعوة الإسلامية لتأخذَ طريقَها إلى قلوب الناس. وكانَ أولَ ما نزلَ من القرآن في مشروعيَّة الجهاد - علَى أرجح الآراء - قولُ اللهِ تعالَى :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم

بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

[الحج: ٣٩ - ٤١] .

قالَ تعالَى : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

ثمَّ كانَ الطورُ الثاني، حيثُ حالفتْ بعضُ القبائل قريشًا بعدَ الهجرة وحاولُوا مهاجمةَ المدينة، بلْ إنَّ البعضَ هاجمَها بالفعل كمَا صنعَ كُرْزُ بن جابر الفهْريّ الذي أغار على سرح المدينة فخرجَ إليه المسلمونَ في غزوة بدر الأُولَى فلمْ يدركُوه، ومنهُمْ من تحرَّشَ بالمسلمينَ فبادرَ الرسولُ ﷺ بالردِّ عليهم، وكانَ يرسلُ السَّرايَا لعقابهم، وكانَ لردّه عليهم أكبر الأثر في اطِّلاعهم

علَى الإسلامِ وتعرُّفهم سماحتَهُ فدخلَ الكثيرُ منهُم الإسلام.

ثمَّ كانَ طورٌ آخرُ، حيثُ تمالأ المشركونَ في مكةَ وخارجها عَلَى المسلمينَ، فكانَ الأمرُ الإلهيُّ في القرآن الكريم: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

ثمَّ إنَّ الرسولَ ﷺ لمَّا كانَ قدْ عاهدَ اليهودَ وأمَّنَهم علَى أنفسهم وأموالهم، ولكنَّهم نقضُوا العهدَ وانضمُّوا إلى المشركينَ، بلْ حرَّضُوهم علَى القتال كمَا في غزوةِ أُحد- لمَّا حدثَ منهُم ذلكَ أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بقتالهم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ثمَّ لمَّا تَمَّ فتحَ مكةَ وراسلَ الرسولُ ﷺ الملوكَ والأمراءَ وأصبحتْ دعوةُ الإسلام معروفةً، وتحفَّزَتْ الرومُ لغزوِ بلادِ المسلمينَ، عندئذٍ جمعَ

الرسولُ ﷺ الجمُوعَ وخرجَ إليهم فلمْ يجِدْ أحدًا، ولكنَّه أراهُم قوةَ الإسلام، ومنذُ ذلكَ الحين انتقلَ الجهادُ إلى خارج الجزيرة العربية، وحدثتْ وقائعُ كبيرةٌ بعدَ أنْ لحِقَ الرسولُ ﷺ بالرفيق الأعلَى وتمَّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ الكبيرةُ بفضلِ اللهِ ونصرِهِ وتأييدِهِ للمسلمينَ.

لماذا شُرِعَ الجهادُ ؟

تتلخصُ حكمةُ مشروعيةِ الجهادِ فِي :

* الانتصار للنفس ورفع الظلم عن المظلوم. وقدْ عاشَ المسلمونَ طيلةَ العهد المكيِّ بالصبر والتسامح، ولكنَّ المشركينَ زادُوا في الظلم والاعتداء، فكانَ لا بدَّ منْ مقابلة القوة بمثلها.

قالَ اللهُ تعالَى : ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٢] .

* ولتمكين المسلمين من ممارسة أعمالهم الدينية، والقيام بعبادتهم في حريةٍ تامةٍ.

* ولتمكين الدعوة الإسلامية من أخذ مجرَاها

للقلوب وطريقها في الحياة، كمَا جاءَ بذلكَ الوحيُ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

* وفي مشروعية الجهاد أمانٌ للنفوس، وتمكينٌ للدين، وإطلاقٌ لحريات الناس؛ فالمسلمونَ يومَ أنْ تكونَ لهُم الغَلَبةُ فَلا خوف علَى أهل الأديان الأخرَى، وأمَّا لو كانَ الغَلَبُ لغيرهِم ضاعتْ قيَمُ الحياة وموازينُ الأديان. قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

حُكمُ الجهادِ:

اتفقَ جمهورُ أهل العلم سلفًا وخَلَفًا علَى أنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، إذا قامَ به مَنْ يكفي في ردِّ اعتداء المعتدينَ، وظلم المظلومينَ سقطَ عن

الباقينَ، وإلا أثمَ الجميعُ، ولا يرتفعُ الإثمُ إلا بخروج مَن فيهم الكفايةُ. ثم يصيرُ الجهاد فرضَ عَينٍ في أحوالٍ:

* إذا تقابلَ الفريقان فيجبُ علَى من حضرَ القتالُ، ويحرمُ عليه الفرارُ، بلْ إنَّه يكونُ منْ أكبر الكبائر، قالَ اللهُ تعالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الأنفال: ٤٥].

وقَدْ جَعَلَ اللهُ الفرارَ من العدوِّ من أكبر الكبائر، ولمْ يُبحْ ذلكَ إلا لِمَن كانَ متحرِّفًا لقتال، أو متحيِّزًا إلى فئة.

قالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

ورَوَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «اجتَنِبُوا السبعَ الموبقات. قيلَ: وما هنَّ يا رسولَ الله؟ قالَ: الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفس التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يومَ الزحفِ، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات».

* إذا اعتدَى الكُفّارُ على بلد منْ بلاد الإسلام وشنُّوا عليه هجومًا فالجهادُ حينئذٍ واجبٌ عينيٌّ علَى أهلِ هذَا البلد جميعًا، كمَا يجبُ أيضًا علَى إخوانِهم المسلمينَ منَ البلاد الأخرَى أنْ يزحفُوا لمساعدتهم، وأنْ يقومُوا بمعاونَتهم أداءً لأُخوة الإسلام، وروَى مسلمٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «المسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُه ولا يخذلُه».

* وأيضًا إذا أمرَ وليُّ الأمر أحدًا بالقتال أصبحَ فرضًا. قالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا

لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

[التوبة: ٣٨] .

وكانَ لا بد - أيُّهَا الشبابُ المسلمُ - من هذه المقدمة الطويلة عنْ مشروعية الجهاد وأحكامه قبلَ أن نشرعَ في الحديث عنْ غزوات النبيِّ ﷺ في مرحلة الكفاح المسلح؛ لنبيِّنَ أنَّ الإسلامَ لمْ ينتشرْ بالسيف كما يزعُمُ أعداءُ الإسلام؛ إنَّما انتشرَ بالدعوةِ بالحكمة والموعظة الحسنةَ فأحبَّهُ أهلُ البلاد المفتوحة لِمَا عرَفُوا مِن نُبْلِ وسماحةِ أخلاق المسلمينَ، وما كانَ القتالُ إلا للأسباب التِي ذكرنَاها قبلَ قليلٍ، فمَا أعظَم دينَنَا الحنيفَ!

الفهرس

المسجد .. المؤاخاة .. الدستور 5
في بيت أبي أيّوب 7
الرسول يبني مسجده 11
المؤاخاة 14
بعض من تمّت بينهم المؤاخاة 18
أول خطبة للرسول بالمدينة 21
خطبته الثانية ﷺ 23
الدستور 25
إسلام عبد الله بن سلام 33
مشروعية الجهاد في سبيل الله 37
لماذا شرع الجهاد 42